ثم سخط المازنى والعقاد على كل نوع من أنواع التحليل اللغوى الذى لاتتبدى فيه العاطفة الناضجة ، وهى أعز ما يملكه الإنسان .

وللمازنى ملاحظات عامة عن اللغة ، وهو يقول فى صراحة إن اللغة تعنى خروج الإنسان من مرحلة الوحشة المطلقة وسجن الانفراد ، وهى وسيلة الى تربية التعاطف والنمو . هذه هى النغمة الأساسية التى كان يطمح اليها المازنى من أجل إصلاح النظر الى اللغة . كان المازنى ينظر الى اللغة نظرة لاتقوم على سيطرة المنطق والنحو ، كان ينظر الى اللغة فى ضوء مايسميه باسم تربية الروح .

ومن أجل ذلك نعرف كيف ثار المازنى على التفكير القديم فيما يسمى باسم المجاز قال إن المجاز لايمكن أن يفهم إلا فى ضوء انبساط الإنسان على كل شىء آخر . ألا ترى أن الإنسان عمد إلى الشمس فجعل لها أيديا ، وللسحب فجعلها إناثا . ولكنه كان يقرأ تحليل النقاد لما يسمى باسم المعانى فيجد شيئا غريبا . يجد شيئا من فقدان فردية الإنسان ، ويجد شيئا من الوهم بأن الإنسان العظيم مقطوع الصلة بغيره من الناس أحيانا أخرى . وكلتا النظرتين ناقصة مريبة إحداهما تخرج بالإنسان إلى التكرار والإملال ، والأخرى تتصور الإنسان فى صورة الوهم ، أو صورة أقرب إلى الشذوذ .

ولهذا كان المازنى شديد القلق فى مجال النظر الى اللغة . وكان يقول هذا الذى نسميه معنى جديدا قد يكون مخلوقا جديدا ، ولكنه خلاصة أبوين . فالإنسان يبتهج حينما يرى تفكيره موصولا بتفكير بعض آبائه ، ويبتهج حين يرى هذه الصلة لاتمنعه من الفردية . ولكن دائرة الناس الى اللغة والدلالات لم تكن تستطيع أن تبحث اللغة فى هذا الضوء بحيث ترى فيها آثار عشائر الإنسان وآثار فردية الإنسان دون تناقض أو غموض .

وبعد ، فإنى أرجو أن تنسى هذا كله وهو قليل ، وأن تنظر فى نص أهديه اليك من أدب المازنى :

فى بعض الأحيان أكون جالسا على مكتبى قبل طلوع الشمس ، وأمامى الآلة الكاتبة أدق عليها ، وأرمى بورقة إثر ورقة ، والى جانبى فنجان القهوة أرشف منه ، وأذهل عنه ، فأحس راحتيك الصغيرتين على كتفى فأدير وجهى إليك ، وأرفع عينى لأصبح على بستان وجهك ، وأستمد من ابتسامة عينيك النجلاوين ، وافترار ثغرك النضيد ما